جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات القرين – شرقية

الوسطية في الإسلام
دراسة عقدية

إعداد

أ.د سعيد عبد الحميد علي الهواري د: محمد عكاشة محمد سيد أحمد

أستاذ العقيدة والفلسفةفي كلية الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الأزهر

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الأزهر

البريد الاليكتروني للباحث الرئيسي:

saeidalhawary.el.8.25@azhar.edu.eg

العدد الخامس

للعام 1446هـ/ 2024م

الوسطية في الإسلام دراسة عقدية

سعيد عبدالحميد علي الهواري و محمد عكاشة محمد سيد أحمد
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين جامعة الأزهر الشريف، مصر.
البريد الاليكتروني للباحث الرئيسي: saeidalhawary.el.8.25@azhar.edu.eg
البريد الالكتروني للباحث الآخر: kasht962@gmail.co

الملخص :

إن الوسط هو الخيار والأعلى من الشيء، والوسط من كل شيء أعدله، وأصل هذا أن خير الأشياء أوساطها، وأن الغلو والتقصير مذمومان ، وقيل للخيار وسط؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية محوَّطة.

فالتوسط والاعتدال هو الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية، وهذه الأمة المسلمة أمة وسطية بكل معاني الوسط ، وسط في النبوة والرسالة، فلا هي غلت في نبيها ، ولا هي أساءت إليهم وآذتهم وبالجملة فهي وسط في الأمم ، وأهل السنة والجماعة وسط في الأمة بين فرقها المتنازعة في مسائل الدين كلها ، كما أن دين الإسلام وسط بين الأديان، والوسطية ليست في جانب واحد، بل هي في جميع الجوانب، ليست فقط في الاعتقاد، بل في الاعتقاد والعمل والقول، وفي كل أمر من أمور هذه الأمة ، فهم وسط في أفعاله تعالى، بين القدرية والجبرية؛ وهم وسط في باب وعيد الله، بين المرجئة والوعيدية؛ وهم وسط في باب الإيمان والدين، بين المعتزلة ؛ وبين المرجئة والجهمية؛ وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الروافض، والخوارج وهكذا في كل شيء.

الكلمات المفتاحية: الشفاعة ، الوسطية ، أهل السنة ،أفعال ، الكبيرة ، التوبة.

Moderation in Islam: A Doctrinal Study

***Saeed Abdulhameed Ali Alhawari and Mohamed Akasha Mohamed Sayed Ahmed**
Department of Creed and Philosophy، Islamic and Arabic Studies for Boys، Damietta - Al-Azhar University، Egypt.
saeidalhawary.el.8.25@azhar.edu.
Islamic and Arabic Studies for Girls in Al-Qurain - Al-Azhar .University
***Corresponding Author e-mail:** kasht962@gmail.co

Abstract:

The middle is the best and highest of things، and the middle of everything is the most just. The origin of this is that the best of things are their middles، and that extremism and deficiency are reprehensible. The best is called the middle because the extremities are quickly affected by error، while the middles are protected and surrounded.

Moderation and balance are what agree with human nature، and this Muslim nation is a moderate nation in all meanings of moderation، moderate in prophethood and message، it did not extremism with its prophet، nor did it offend them or harm them، and in general it is moderate among nations، and the people of the Sunnah and the community are moderate in the nation among its conflicting sects in all matters of religion، just as the religion of Islam is moderate among religions، and moderation is not in one aspect، but rather in all aspects، not only in belief، but in belief، action and speech، and in every matter of this nation، so they are moderate in the actions of God Almighty، between the Qadarites and the Jabrites، and they are moderate in the matter of God's threat between the Marjanites and the Wahidiyya; they are moderate in the matter of faith and religion between the Mu'tazilites and the Murji'ites and the Jahmites; and they are moderate in the matter of the companions of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - between the Rafidites and the Khawarij، and so on in everything.

Keywords: Moderate intercession، Sunnis، Actions، Major sin، Repentance.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن موضوع الوسطية من المواضيع الهامة في باب العقيدة ، لذا فقد اعتنى به علماء أهل السنة قديما وحديثا، فتناولوه في ثنايا كتبهم من خلال التطبيقات العملية في عرض المسائل الكلامية.

فأهل السنة والجماعة أنفسهم وسط في الفرق الإسلامية ، كما أن دين الإسلام وسط بين الأديان، والوسطية ليست في جانب واحد، بل هي في جميع الجوانب، ليست فقط في الاعتقاد، بل في الاعتقاد والعمل والقول، وفي كل أمر من أمور هذه الأمة ، وسط في أفعاله تعالى، بين القدرية والجبرية؛ وهم وسط في باب وعيد الله، بين المرجئة والوعيدية؛ وهم وسط في باب الإيمان والدين، بين المعتزلة ؛ وبين المرجئة والجهمية؛ وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الروافض، والخوارج .

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يحتم علينا استخدام عدد من المناهج العلمية لبحث الموضوع، منها: المنهج التحليلي، والذي يظهر في ثنايا البحث عند تحليل الآراء وتوضيحها والوقوف على أبعاد كل رأي منها، والمنهج الوصفي وذلك من خلال عرض الآراء من مصادرها، والمنهج النقدي الذي يأتي عقيب كل فكرة أو رأي يحتاج إلى التعقيب عليه، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي يستخدم لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين مختلف الآراء.

خطة البحث:

قمت بترتيب البحث في مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة ذكرت فيها أهم المصادر والمراجع

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح والقرآن والسنة .

المبحث الثاني: وسطية أهل السنة في قضية أفعال العباد

المبحث الثالث : وسطية أهل السنة في عدم تكفيرهم لأحد من أهل القبلة

المبحث الرابع : وسطية أهل السنة في الوعد والوعيد

ثم فهرسًا لأهم المصادر والمراجع

والله تعالى أسأل أن يكتب لنا الإخلاص والتوفيق والقبول

المبحث الأول

مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح والقرآن والسنة

معنى الوسطية لغة: الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهى كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين.

يقول ابن فارس: " الواو والسين والطاء بِنَاءٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفِ. وَأَعْدَلُ الشَّيْءِ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ. " (1) .

ويقول ابن منظور: " وسط الشيء وأوسطه: أعدله "(2).

والوسط في اللغة أيضا : ما كان بين طرفي الشيء، وهو منه. كقولك: كسرت وسط الرمح، جلست وسط الدار، جئت وسط النهار(3)

الوسطية في اللغة بمعنى التوسيط وهو أن يجعل الشيء في الوسط، والوسط: اسم لما بين طرفي الشيء، وهو المعتدل، أو ما بين الجيد والرديء وأوسط الشيء: أفضله وخياره، وأعدله،

الوسطية في الاصطلاح :

جاءت الوسطية في الاصطلاح بمعنى العدالة والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط،(4) كما في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...}(5).

---

(1) معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.6 / 108

(2) لسان العرب لابن منظور الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ:7/ 430.

(3) معجم مقاييس اللغة :6/ 108، وانظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي 5/ 209. وتاج العروس للزبيدي 5/ 238.

(4) الإفراط هو مجاوزة الحد في الشيء والتفريط هو التقصير في الشيء وتضييعه

(5) سورة البقرة الآية 143

يقول الطبري: " الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين "(1).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة . (2) .

فأوسط الجنة أو أعلى الجنة، المراد بأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}.

فالوسطية في الشرع تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة.

فالدلالة الاصطلاحية لمفهوم الوسطية أنها تعني التوازن والاعتدال بين طرفي الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط، والإسراف والتقتير. فكل أمر له طرفان مذمومان، إما إلى إفراط، وإما إلى تفريط، والوسط هو التوازن بينهما.

إن وسطية أهل السنة والجماعة في هذه الأمة؛ إنما هي في حقيقتها امتداد الوسطية الأولى، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان ، على ما كانوا عليه من الهدي والتمسك بالكتاب والسنة فأصحاب النبي صلى اله عليه وسلم هم النموذج لهذه الأمة، التي أثنى الله عليها خيرًا فقال: { كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...}.

---

(1) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م 3/ 142

(2) صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر نشر : دار طوق النجاة ط الأولى، 1422هـ باب الجهاد والسير حديث رقم (2790)..

الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية

الوسطية في القرآن الكريم :

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ....﴾ (1) أي كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطًا.

وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه: أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه. وهذا معنى من معاني الوسط المذكور في الآية الكريمة، ولعل هناك معنى آخر لا يعارض المعنى الأول وهو:

أن الوسط في هذا الموضع المقصود به الجزءُ، الذي هو بين الطرفين، مثل وسَط الدار.

قال أبو جعفر الطبري : وأنا أرى أن"الوسط" في هذا الموضع، هو"الوسط" الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل"وسَط الدار" محرَّك الوَسط مثقَّله، غيرَ جائز في"سينه" التخفيف.

وقال أيضا : وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم"وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها. (2)

---

(1) سورةالبقرة: 143

(2) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن: 3/ 142

وجاء في الكشاف : ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم " أمة وسطاً " أي خياراً، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء. وقيل: للخيار: وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأوساط محمية محوطة.(1)

ويقول الإمام فخر الدين الرازي : الوسط: هو العدل في قول جماعة بدليل الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى، أما الآية فهي {قَالَ أَوْسَطُهُمْ ...} (2) ، والخبر: ما رواه القفال عن الثوري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أمة وسطاً» قال: عدلاً وما رواه ابن السمعاني عن علي مرفوعاً: خير الأمور أوسطها أو أوساطها وفي رواية ابن عباس عند الديلمي مرفوعاً: خير الأمور أوسطها»(3).

والشعر قول زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى في "الوسطِ" (4) :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي العظائم (5)

ولعل ما يؤكد وسطية هذه الأمة الإسلامية إن أساس مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية فيها هو عين الوسطية وكذلك وسطية الشريعة الإسلامية في أحكامها الاعتقادية، والمنهجية والعملية، والخلقية، وممارسة العبادات بما يلائم طبيعة الإنسان وإمكاناته المزدوجة الجامعة بين حق الجسم وحق النفس أو الروح، ويحفظ التوازن دون إلحاق جور أو ضرر أو كبت أو إرهاق لجانب على جانب آخر، حتى وصف الإسلام بأنه " دين الفطرة " كما جاء في قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. (6)

---

(1) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1407 هـ1 / 198

(2) سورة القلم:من الآية 28

(3) حديث علي بسند فيه مجهول، وحديث ابن عباس عند الديلمي بلا سند

(4) شرح ديوان زهير لأبي الحجاج يوسف بن سليمان ط المطبعة المحمدية المصرية سنة 1323 هـ ص 27

(5) ينظر مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ : 4 / 84.

(6) سورة الروم: 30 وراجع وسطية الإسلام وسماحته - وهبة الزحيلي الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات ص9

فالأمة الإسلامية وسط في كل جوانب الدين فهم وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا كما قال تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)}(1).

وتظهر وسيطة الإسلام هنا من إعطاء الحق والعدل والاعتدال في الكرامة للجميع، في جانب إنفاق المال حيث أمرنا الله عز وجل بالاعتدال في الإنفاق فلا إسراف ولا تقتير يقول الله تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }(2).

فالإسلام جمع في الترغيب بين العمل للدنيا والعمل للآخرة لتتحقق المصلحتان، وتتوافر المنفعتان، ولإكمال رسالة الدنيا وجعلها جسراً للآخرة، لأن متطلبات الحياة الدنيوية كثيرة، وتعمير الدنيا وتقدمها وتحضرها من مقاصد الخلق الإلهي، وذلك مثل الاستعداد بالإيمان والعمل الصالح للآخرة دار الخلود(3)

وهذه الآية فيها دليل على أن ترك التوسط والاعتدال فساد في الأرض، ألا تراه يقول: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} فإذا

---

(1) سورة آل عمران: 79: 80)

(2) سورةالقصص: 77

(3) وسطية الإسلام وسماحته - وهبة الزحيلي : ص11

كان العمل في الدنيا وترك السعي للآخرة فسادا في الأرض، فمن باب أولى ترك أمور الصراط المستقيم - وعنوانها تمام صالح الأخلاق - فساد في الأرض.

وقال تعالى أيضا : { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} (1)،

والفرق بين الاقتصاد والتقصير أن الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

وله طرفان هما ضدان : تقصير ومجاوزة. فالمقتصد قد أخذ بالوسط وعدل عن الطرفين، قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}(2). وقال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}(3) وقال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} (4). والدين كله بين هذين الطرفين.

الوسطية في السنة النبوية

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ورد ما يقررُ هذا المعنى ويوضحه عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة . (5) .

يقول الحافظ ابن حجر: قوله: أوسط الجنة أو أعلى الجنة، المراد بأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ" (6)

---

(1) سورة الإسراء: 29

(2) سورة الفرقان: 67

(3) سورة الإسراء: 29

(4) سورةالأعراف: 31

(5) صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر نشر : دار طوق النجاة ط الأولى، 1422هـ باب الجهاد والسير حديث رقم (2790).

(6) رواه البخاري حديث رقم (3339) .

«وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ الله عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ: بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} "(1).

وفي السنة مثال على هذا الأمر وهو حديث الثلاثة نفر؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَال: أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَال: آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَال: آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ فَقَال: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" (2)

ووجه الدلالة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن التشدد في العبادة ليس من سنته؛ فإذا كان التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى.

قال ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) رحمه الله: " قَوْلُهُ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره.

والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

---

(1) أبو داود (5/ 315/ 4868)

(2) رواه البخاري (5063) وانظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (صـ 72)

وقوله: " فَلَيْسَ مِنِّي " إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي " أي: على طريقتي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضا وتنطعا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي ": ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر.(1)

وأخيرا أقول

لقد ساد في الفكر الإسلامي الصحيح، الوسط الذي يعني التوازن الظاهر بين الدين والدنيا، وبين العقل والنقل، وبين عَالَم الغيب وعَالَم الشهادة، وبين النفس والبدن. يقول الغزالي رحمه الله في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد: إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع (2)

فالوسطية الإسلامية، ليست سمة لفكر علماء معينين، ولكنها سمة العقيدة الإسلامية التي تمسَّك بها أهل السنة والجماعة في عصور المسلمين المختلفة، واعتبروا كل من يخرج عن هذه الوسطية في الاعتقاد أو السلوك، خارجًا عن الأعدل والأوسط، وذَمَّ هؤلاء العلماء كل. الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث (5063) ، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم (1401) وراجع فتح العلام في دراسة أحاديث بلوغ المرام «حديثيا وفقهيا مع ذكر بعض المسائل الملحقة» المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، صنعاء – اليمن الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م ج 8 ص 8

(2) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م ص 127

المبحث الثانى

وسطية أهل السنة فى قضية أفعال العباد

أولا الفعل في اللغة والاصطلاح

الفِعْلُ فى اللغة -بكسر الفاء-: اسم، وهو مفرد جمعه: فِعَال، ولجمع القلة يقال: أفعال، والفعل منه (فَعَلَ): يَدُلُّ على إحداث شيء من عمل وغيره وهو إحداث شيء من عمل وغيره (1)، وفي لسان العرب أنه كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد (2)

وفى الاصطلاح : يطلق على كل ما صدر عن المكلف، وتتعلق به قدرته من قول، أو فعل، أو نية، أو الفعل الذى بمعنى الترك، فالترك فعل، قال تعالى: (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(3)

وقيل يطلق الفعل على كل ما صدر عن المكلف، وتتعلق به قدرته من قول، أو فعل، أو نية، وهو المراد بفعل المكلف هنا.

فيكون المقصود بالفعل هنا هو جنس الفعل، سواء كان واحداً، أو متعدداً، ويشمل القلوب والجوارح، سواء منها العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، فإنها جميعاً تتعلق بها الأحكام الشرعية

ثانيا : موقف علماء الكلام من قضية أفعال العباد

إن مسألة أفعال العباد من أصعب المسائل الكلامية وأعقدها ، وإن لم تكن كذلك فهي تُعتبر أهم مسألة يتناولها علماء الكلام بعد مسألة وجود الله (تعالى)، ووحدانيته .

---

(1) راجع مقاييس اللغة 4/ 511، مختار الصحاح 507، المصباح المنير 2/ 478، لسان العرب 11/ 528، أوضح المسالك 4/ 278.

(2) انظر: لسان العرب (528/3) وشرح ابن عقيل (1/ 264) .

(3) سورةالمائدة: 63 وراجع جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد :عبد الفتاح بن محمد مصيلحي الناشر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع - المنصورة، مصر الطبعة: الأولى، 1443 هـ - 2022 م (1/ 204)

لذا فقد اختلف العلماء فيها قديما وحديثا ، وذهبوا مذاهب شتي في تفسيرها ، فمنهم من يُنكر علي العبد حريته وإرادته فيجعله مُسيراً لا شأن له في خلق أفعاله ، ومنهم من يأبي للإنسان أن يكون في منزلة الجماد فيُثبت له الإرادة ويجعله قادرا على أفعاله .

ومن ثم فقد تعرض العلماء لها ، واختلفوا في شأنها اختلافا بينا وما ذاك إلا ؛ لأن القرآن الكريم يحتوي على آيات تُشير إلى أن الله تعالى خالق كل شيء ، كما تدلنا هذه الآيات علي عموم قدرته تعالى وإرادته ، وآيات أخري تقرر أن العبد مسئول عما يفعل ، ومما لا شك فيه أن هذا التعارض بحسب الظاهر فقط .

ومن هُنا حدث الخِلاف بين فرق المسلمين ، فبعد اتفاقهم على أن الله تعالى خالق للعباد ولأفعالهم الاضطرارية ، اختلفوا في أفعال العباد الاختيارية التي تنشأ عن إرادة العبد وتَصحبُهَا قدرة منه عليها، وحول قدرة الإنسان على هذا الفعل نشأ الخلاف واحتدم الجدل وجاءت التساؤلات : هل قضي الله تعالى أزلا بأعمالنا التي نقوم بها في الدنيا ؟ وهل هذه الأعمال من خلق الله تعالى أم من خلقنا ؟ هل الإنسان مسير في أفعاله أم مخير ؟

من خلال هذه التساؤلات نشأ الخلاف واحتدم الجدل وتنازعت الفرق، وكانت الآراء على النحو الآتي:

القدرية الأولى:

وهم أتباع معبد الجهني، والذي كان يرى أنه لا قَدَرَ والأمر أُنُف-أي مستأنف العلم به، وهذا يعني أنه كان ينكر علم الله –تعالى-السابق بالحوادث، وينفي تقديره –تعالى-للأمور وإرادته لها قبل أن تكون، ويرى أن الأفعال تضاف للإنسان نفسه، فهو موجدها والمسئول عنها (1).

(1) الفرق بين الفرق للبغدادي ص25، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص110.

المعتزلة:

وهؤلاء أقروا بعلم الله –تعالى-السابق بالحوادث؛ ولكنهم أنكروا خلقه –تعالى-لأفعال العباد، وزعموا أن العباد هم الخالقون لأفعالهم على جهة الاستقلال (1)، ومعنى هذا أن المعتزلة يلتقون مع القدرية الأولى في قولهم: بأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه – ومن هنا أطلق عليهم البعض "القدرية " أيضًا – ولكنهم يختلفون عنهم في أنهم يعترفون بعلم الله -تعالى-السابق للحوادث (2).

ويمكن القول أن الغاية التي يسعى إليها المعتزلة في أبحاثهم جميعًا الوصول إلى نتيجة خلقية تجعل الإنسان مسئولا عن فعله، وبالتالي قدرته على الإتيان بهذا الفعل .

الجبرية:

وهم أتباع جهم بن صفوان، وهو يرى أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور على أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله – تعالى-الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتُنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات فيقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وطلعت الشمس إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر، وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا(3).

---

(1) يراجع: الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص232، والمنهاج في أصول الدين ص5، وباب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، لأحمد بن يحيى المرتضى (ط مطبعة دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد الدكن، ط سنة 1316ه، ت توما أرلند) ص6.

(2) يراجع معتقداتهم: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني (ط عالم الكتب – لبنان، (ط1) سنة 1403ه - 1983م، ت كمال يوسف الحوت) ص221، والفرق بين الفرق ص83 .

(3) يراجع: الملل والنحل للشهرستاني ج1 ص100، والفصل لابن حزم ج2 ص54، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص102.

إن القول بأنه ليست أفعالاً للإنسان، كما ذهبت الجبرية في إنكارها للفعلية والتأثير الإنسانيين، يترتب على هذا الإنكار إضافة جميع الأفعال إلى الله تعالى، وفي هذه الحالة تكون جميع الأفعال من خلق الله تعالى عند الجبرية .

الأشاعرة والماتريدية:

يتفق الأشاعرة والماتريدية في الجملة حول هذه المسألة، ورأيهم فيها هو الرأي الوسط، حيث لا يرون ما يراه الجبرية من أن الإنسان مجبور على أفعاله ولا قدرة له ولا اختيار، كما أنهم لا يرون ما يراه القدرية الأولى ولا المعتزلة من أن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه، وإنما يرون أن الإنسان مختار في أفعاله؛ لكن هذه الأفعال واقعة بقدرة الله -تعالى- فهو عز وجل الخالق لها، وللعبد قدرة حادثة مقارنة للفعل غير متقدمة عليه، لكن هذه القدرة ليس لها تأثير في خلق فعل العبد وإنما التأثير من الله تعالى-وسيتضح الكلام بشيء من التفصيل عن هذه المسألة -في الصفحات التالية- (1).

ثالثا : وسطية الأشاعرة والماتريدية في قضية أفعال العباد:

وهكذا رأينا من الفرق الكلامية من أخذ بظاهر الآيات التى أضافت الفعل إلى الله تعالى، فقالوا إن الله هو الخالق المبدع لكل شىء دون تعلق لقدرة العبد.

ورأينا من أخذ بظاهر الآيات التى أضافت الفعل إلى الإنسان فزعموا أن الإنسان حر حرية مطلقة وقالوا. إن العبد هو الخالق لأفعال نفسه دون مدخل لقدرة الله فى الأفعال الحادثة مع إثبات قدرة الله من خلال خلقه لقدرة العبد، وإثبات العلم الأزلى.

لكن الأشاعرة والماتريدية والذين عرفوا باسم أهل السنة والجماعة ذهبوا إلى أن الله هو الخالق الفاعل المبدع لكل شىء ، أما الإنسان فهو الكاسب لأعماله.(2)

---

(1) يراجع: كتاب التوحيد للماتريدي، ص221:262، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ص69:80، وتمهيد الأوائل، ص341:345، وأصول الدين للبغدادي، ص133:137، وأصول الدين للبزدوي، ص104:114، وبحر الكلام، ص147،148، والملل والنحل، ج1 ص109.

(2) انظر: أفعال الله: أ.د/ سعد الدين صالح ط دار الطباعة المحمدية : ص12.

لقد رفض الأشاعرة مبدأ مذهب الجبرية القائل: بأن الإنسان مجبور على أفعاله ومقهور، وذهب الأشعري إلى أن أفعال الإنسان تعد بالنسبة لله خلقا وإبداعا وبالنسبة للإنسان كسبا ووقوعا عند قدرته كما رفضوا رأي المعتزلة القائل بحرية الإنسان فى أفعاله وقدرته عليها.

ومعنى ذلك أن الإنسان يريد الفعل ويسعى إليه، والله يخلقه وهذا يدل على أن الأشعرى يريد بقوله هذا المحافظة على شيئين أولهما: أن الله خالق كل شىء ، وثانيهما: ضرورة الاعتراف بما يحسه الإنسان فى نفسه من إرادة ومن قدرة على الأعمال الاختيارية وهذا عين الوسطية.

يقول الشهرستانى: إن العبد كما يحس من نفسه التمكن من الفعل كذلك يحس من نفسه الافتقار والاحتجاج إلى معين فى كل ما يتصرف، ويجد ذلك فى استطاعته ويشعر فقدان الاستقلال والاستبداد بالفعل فى كل ما يأتى ويذر ويقدم ويؤخر من تصرفاته.[1]

فالأشاعرة بذلك أرادوا أن يحافظوا على كمال القدرة الإلهية وعموم المشيئة فألغوا أثر قدرة الإنسان فى أفعاله لأنهم رأوا أن وجود مؤثر آخر سوى الله يعد عجزا فى القدرة وهى مطلقة وتحديد للمشيئة وهى عامة. ومن هنا قالوا إن الله خالق أفعال العباد والعبد كاسب لها.[2]

فالإمام الأشعري يفرق بين حركة الاضطرار وحركة الاختيار؛ وكلتا الحالتين موجودتان من جهة الله خلقاً، ويرى الأشعري أن الإنسان يعلم التفرقة بين الحالتين من نفسه وغيره، وإذا كانت الحركتان تفترقان فى باب الضرورة والكسب فإنهما لا تفترقان في الخلق (3).

---

(1) نهاية الإقدام فى علم الكلام، الشهرستانى، حرره الفرد جيوم، مكتبة زهران، ص 88، ص 89.
(2) قضية الخير والشر فى الفكر الإسلامى، د/ محمد السيد الجليند طبع بمبطعة الحلبى، ص282
(3) اللمع ص: 76، 77.

ويرى أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله وحدها، ففعل العبد مخلوق لله إبداعا وإحداثا، ومكسوب للعبد، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك تأثير ومدخل فى وجود الفعل، سوى كونه محلا له (1)

والماتريدى يرى: إن حقيقة ذلك الفعل الذي هو للعباد من طريق الكسب ولله من طريق الخلق "(2)

أن الكسب عند الإمام الماتريدي يكون بقدرة أودعها الله سبحانه وتعالى في العبد ، فهو عند الإمام الماتريدي يستطيع أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقه فيه و يستطيع ألاّ يكسبه بهذه القدرة، فهو حر مختار في هذا الكسب، إن شاء فعل و اقترن بالفعل الذي هو مخلوق لله تعالى، و إن شاء ترك، و بذلك يكون العقاب (3)

وهكذا كان حل الإمام الماتريدي لأفعال العباد الاختيارية حلا وسطا بين المذاهب الكلامية، وبذلك يتوزع الفعل عند الإمام الماتريدي بين الله وبين الإنسان، إذا أضيف إلى الله يسمى خلقا، وإذا أضيف إلى العبد يسمى كسبا وتفسح فكرة الكسب عند الإمام الماتريدي مكانا لقدرة العبد فيما يصدر عنه من الأفعال والاختيار.

---

(1) التمهيد :االباقلانى صـ36- 45، والجوينى فى الإرشاد، صـ195– 196

(2) التوحيد، الماتريدى، تحقيق د/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، ص 230

(3) موسوعة الفرق في الاديان السماوية الثلاثة:: ابو زيد موسي الناشر: دار الراية الاردن .1 / 77

المبحث الثالث

وسطية أهل السنة فى عدم تكفيرهم لأحد من أهل القبلة

أولا : الكفر لغة واصطلاحا :

الكفر لغة: الستر، والتغطية، ومنه سمي الكافر كافرًا لأنه يستر نعم الله عليه، والكفار الزراع لأن الزارع يغطي البذر بالتراب ومنه قوله تعالى: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} (1) والكفر ضد الإيمان، وهو أعم من التكذيب لشموله الكافر الخالي عن التصديق، والتكذيب.

يقول ابن فارس: يقال لمن غطّى درعه بثوب قد كفر درعه (2)

واصطلاحا : هُوَ تَكْذِيب النَّبِي صلى الله عليه وسلم ... فِي شَيْء مِمَّا جَاءَ بِهِ من الدّين ضَرُورَة وَالْكفْر على أَرْبَعَة أنحاء الأول كفر الْإِنْكَار وَهُوَ أَن يكفر بِقَلْبِه وَلسَانه وَلَا يعْتَقد الْحق وَلَا يقر بِهِ وَالثَّانِي كفر الْجُحُود هُوَ أَن يعرف الْحق بِقَلْبِه وَلَا يقر بِلِسَانِهِ ككفر إبْلِيس وَالثَّالِث كفر العناد وَهُوَ أَن يعرف بِقَلْبِه وَلَا يقر بِلِسَانِهِ وَلَا يقبل وَلَا يتدين ككفر هِرقل وَالرَّابِع كفر النِّفَاق وَهُوَ أَن يقر بِلِسَانِهِ وَيكفر بِقَلْبِه ككفر منافقي يثرب . (3)

فالكفر هو ستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم (4)

وقيل هو: الإنكار المتعمّد لما جاء به النبي محمّد صلى الله عليه وسلم أو بعض ما جاء به صلى الله عليه وسلم ممّا علم من دينه بالضّرورة، وهذا هو الحقّ الّذي عليه أهل السّنّة والجماعة وما عداه فهو باطل.

---

(1) سورة الحديد: 20

(2) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812 - 893 هـ) المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية عام النشر: 1429 هـ - 2008 م 4: 327

(3) قواعد الفقه المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الناشر: الصدف ببلشرز – كراتشي الطبعة: الأولى، 1407 ص 445

(4) ينظر التعريفات للجرجاني (185)

وقال المناويّ: الكفر: تغطية ما حقّه الإظهار، والكفران: ستر نعمة المنعم بترك شكرها، وأعظم الكفر: جحود الوحدانيّة أو النّبوّة أو الشّريعة، ولفظ الكفران في جحود النّعمة أكثر استعمالا والكفر في الدّين أكثر، والكفور فيهما جميعا(1).

وقال التّهانويّ ما خلاصته: الكفر شرعا: خلاف الإيمان عند كلّ طائفة .

وعند الأشاعرة عدم تصديق الرّسول صلى الله عليه وسلم في (كلّ أو بعض) ما علم مجيئه من الدّين بالضّرورة، ومن قال: إنّ الإيمان هو المعرفة بالله قال: الكفر هو الجهل بالله، ومن قال: إنّ الإيمان هو الطّاعة قال: إنّ الكفر هو المعصية، وقد اختلف في المعصية الّتي تكفّر صاحبها فقالت الخوارج: كلّ معصية كفر، وقسّمت المعتزلة المعاصي إلى ثلاثة أقسام، يكفّر منها ما دلّ على الجهل بالله ووحدته وما لا يجوز عليه والقسمان الآخران: أحدهما ما يجعل صاحبه في منزلة بين المنزلتين وهو مرتكب الكبائر والآخر لا يخرج صاحبه عن الإيمان وهو مرتكب الصغائر (2).

ثانيا : موقف الفرق الكلامية من قضية التكفير

1- : أهل السنة والجماعة وأهل الحديث لا يُكفرون مسلما بكبيرة إرتكبها

يقول الإمام الأشعري: وأجمعوا – يقصد أهل السنة والجماعة - على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان) (3)

---

(1) التوقيف (282)

(2) انظر كشاف اصطلاحات الفنون (3/ 1251) .

(3) رسالة الثغر، للإمام الأشعري المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1413هـ ص :156

ويقول الإمام الآمدي: "وأما أصحابنا فإنهم قالوا: من ارتكب كبيرة من أهل الصلاة، أو داوم على صغيرة فهو مؤمن، وليس بكافر بل فاسق. ومن فعل صغيرة واحدة فهو عاص وليس بفاسق. (1)

وهذا هو ما قرره الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة أهل الحديث حيث قال: ويقولون إن أحدا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين لو ارتكب ذنبا أو ذنوبا كثيرة صغائر أو كبائر، مع الإقامة على التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله عن الله؛ فإنه لا يكفر به ويرجون له المغفرة، قال تعالى: { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .(2)

وكذا أبو عثمان الصابوني حيث قال في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار) (3)

2 - : <u>رأي الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة :</u>

اختلف في هذه المسألة ـ فقال بعض كتاب الفرق كالكعبي ، والشهرستاني ، والرازي: إن الخوارج يجمعون على تكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار.(4)

وقال بعضهم: كالإمام الأشعري ، والبغدادي إن هذه المسألة لم يجمعوا عليها وهو الأظهر فقد قالت الإباضية: إن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون لذا مناكحتهم جائزة،

---

(1) ينظر أبكار الأفكار في أصول الدين، الإمام الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي،(5/ 29)، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، 1424هـ.

(2) اعتقاد أئمة أهل الحديث [ص (64)]

(3) عقيدة السلف أصحاب الحديث [ص (71- 72)]

(4) انظر: الفرق بين الفرق صـ 72. والملل والنحل جـ 1 صـ 56. واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي صـ 46.

وموارثتهم حلال، لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة وكذلك النجدات (1) قالوا: الفاسق من موافقيهم كافر كفر نعمة .(2)

أما المحكمة الأولى(3)، والأزارقة (4)، والعجاردة (5)، ومن وافقهم، فقد قرروا: أن مرتكب الكبيرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كافر مخلد في النار، وقد وافقهم المعتزلة في الحكم الأخروي حيث قالوا: إن مرتكب الكبيرة في الآخرة مخلد في النار. إلا أنهم قالوا بأن عذابه أخف من عذاب الكافر .(6)

يقول الأشعري في موضع آخر عن الخوارج: وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك(7) .

ويقول الرازي أيضا عنهم: إن سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافرا بالذنب وهم يكفرون عثمان وعلي ﷺ (8).

ويقول الإسفراييني: إنهم يزعمون أن كل من أذنب من أمة سيدنا محمد ﷺ فهو كافر ويكون في النار خالد مخلدا إلا النجدات منهم فإنهم قالوا إن الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمه ربه، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر(9).

---

(1) أتباع نجدة بن عامر الحنفي، فرقة من فرق الخوارج انظر: الفرق بين الفرق صـ 81 - 84.

(2) الفرق بين الفرق صـ 72 وما بعدها

(3) أول فرقة من فرق الخوارج - انظر: الفرق بين الفرق صـ 73 - 78.

(4) أتباع نافع بن الأزرق. انظر: الملل والنحل جـ 1 صـ 163، والفرق بين الفرق صـ 78 - 81

(5) أتباع عبد الكريم بن عجرد. انظر: الملل والنحل جـ 1 صـ 172، والفرق بين الفرق صـ 87

(6) ينظر المقالات للأشعري صـ 156، والفرق بين الفرق صـ 72. والتبصير في الدين للإسفراييني صـ 42، والملل والنحل جـ 1 صـ 48.

7 - راجع : مقالات الإسلاميين . الأشعري : 168/1 ، طبعة المكتبة العصرية ، بيروت .

8 - راجع : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص 51 .

9 - انظر: التبصير فى الدين: ص26 تحقيق: الشيخ محمد الكوثرى ، ط1 مطبعة الأنوار، القاهرة1940م.

3 - مذهب المعتزلة في مرتكب الكبيرة

يعد واصل بن عطاء المعتزلى هو أول من قال: إن مرتكبي الكبائر لا يمكن أن نسميهم كفارا، ولا يمكن أن نسميهم منافقين- كما ذهب إلى ذلك الحسن البصري- ولا يمكن أن نسميهم مؤمنين، وإنما هم فساق، وهم في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، وقد كشف واصل عن مذاهبه هذا عند مناظرته لعمرو بن عبيد (1)، الذي كان يعتقد نفاق صاحب الكبيرة، مثل أستاذه الحسن البصري في بداية أمره(2)، ثم ما لبث أن اعتنق مذهب واصل بن عطاء.

هذا وقد بين القاضى عبد الجبار دافع المعتزلة لعدم تسمية مرتكب الكبيرة كافرا أو مؤمنا، فقال: والذي يدل على أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا هو ما قد ثبت أنه يستحق بارتكاب الكبيرة الذم واللعن، والاستخفاف والإهانة ، وثبت أن اسم المؤمن صار بالشرع اسما لمن يستحق المدح والتعظيم والموالاة، فإذا قد ثبت هذان الأصلان فلا إشكال في أن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى مؤمنا "(3).

أما ما دفعهم- المعتزلة- للقول بخلود صاحب الكبيرة في النار، فهو- فيما أرى- أن عمومهم يرفضون رفضا باتا قول من يقول بأن بين الجنة والنار مواضع، يقال لها: الأعراف، ويقولون عن الأعراف الوارد ذكرها في القرآن الكريم أنها مواضع في الجنة مرتفعة، سميت بذلك لارتفاعها، كما في عرف الديك والدابة وغيرها(4).

---

1 - عمرو بن عبيد الزاهد العابد القدرى كبير المعتزلة كان من أصحاب الحسن البصرى، فلما تكلم واصل فى الاعتزال، دخل معه عمرو ابن عبيد فأعجب به وزوجه أخته. قال النسائى: ليس ثقة وقال حفص بن غياث: ما لقيت أزهد منه وانتحل ما انتحل وقال ابن المبارك دعا إلى القدر فتركوه. مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل سنة أربع وأربعين ومنه. [سير أعلام النبلاء ج6 ص 104 رقم: 27].

2 - واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية- سليمان الشواشى : ص 216/ 217 .

3 - شرح الأصول الخمسة : ص 702 . ط مكتبة وهبة القاهرة.

4 - المرجع السابق ص624 .

4 - موقف المرجئة من مرتكب الكبيرة:

وقف المرجئة من مرتكب الكبيرة موقفا مناقضا لموقف كل من الخوارج والمعتزلة منه، فقد رأوا أنه مؤمن كامل الإيمان لا يضره ما ارتكب من كبيرة ، وذلك لقولهم بأن الإيمان هو التصديق أو المعرفة فحسب.

يقول " أبو المعين النسفي" زعمت المرجئة الخبيثة أن أحدا من المسلمين لا يعاقب على شيء من الكبائر، وكما أن الحسنة لا تنفع مع الكفر، فالسيئة لا تضر مع الإيمان، وحكي هذا القول عن مقاتل بن سليمان صاحب التفسير(1).

ويذكر الفخر الرازي عن المرجئة قولهم: "لا يضر مع الإيمان معصية ما وأن الله لا يعذب الفاسقين من هذه الأمة" (2).

ومن فرق المرجئة من يزعم أن العصاة من المسلمين يلحقهم على الصراط شيء من حرارة جهنم، لكنهم لا يدخلون أصلا"(3).

فالمرجئة يزعمون أنه لا تضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة.

ثالثا : وسطية أهل السنة في عدم التكفير:

أن باب التكفير وعدم التكفير ، كثر فيه الافتراق ، وتشتت فيه الأهواء والآراء ، وتعارضت فيه دلائلهم. فالناس فيه، في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم ، على طرفين ووسط ، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية .

فالمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة ، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، لكن قالت الخوارج ، نسميه كافراً ، وقالت المعتزلة : نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط

---

1 - تبصرة الأدلة 766/2، وانظر: بحر الكرم : ص 160، والكفاية . للصابوني: ص 140 .

2 - اعتقاد فرق المسلمين والمشركين الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ص108 القاهرة – 1398هـ 1978م.

3 - المصدر نفسه : ص 108 .

أما أهل السنة والجماعة فتقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، بكل ذنب كما تفعله الخوارج. عملا بالقاعدة التي تقول " ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلَّه" (1) وهذه القاعدة أصل عقدي عند أهل السنة وهو أن من كان معه أصل الإيمان وأساسه فإنه لا يكفر لاقترافه بعض الذنوب كالزنا والسرقة وغيرها.

فأهل القبلة هم المسلمون، وإن كانوا عصاة لأنهم يستقبلون قبلة واحدة، وهي الكعبة؛ فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر؛

وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله - بابا في صحيحه قطع فيه بأن المعاصي لا يكفر مرتكبها، قال: باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية. وقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (2)) (3).

وروي عن الإمام أبو حنيفة : يقول أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي: سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت -رضي الله عنه- عن الفقه الأكبر، فقال: "ألا تكفِّرَ أحدًا من أهل القبلة بذنب". (4)

وقال أيضًا: "ولا نكفِّر مسلمًا بذنبٍ منَ الذنوب، وإن كانت كبيرة، إذا لم يستحلَّها"(5)

وروي عن الإمام أحمد بن حنبل : يقول محمد بن حميد الأندرابي: قال أحمد بن حنبل في بيان صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة: "ولم يشكّ في إيمانه، ولم يكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنبٍ" (6)

---

(1) أصول الدين : للإمام الغزنوي الحنفي (المتوفى: 593هـ) تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق ط دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1419 – 1998: صـ 301

(2) سورة النساء من الآية 48

(3) صحيح البخارى مع الفتح 1/ 119 كتاب الإيمان باب المعاصى من أمر الجاهلية

(4) الفقه الأكبر ينسب للإمام أبو حنيفة ط مكتبة الفرقان - الإمارات العربية الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م : ص: 76.

(5) نفس المصدر ص: 43.

(6) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي تحقيق: د. عبد الله التركي :نشر : دار هجر الطبعة: الثانية، 1409 هـ صـ: 222. وراجع العقيدة رواية أبي بكر الخلال للإمام: أحمد بن حنبل : الناشر : دار قتيبة – دمشق الطبعة الأولى ، 1408هـ : 1 / 67.

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري- رحمه الله تعالى- في الابانة: وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه؛ كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون. ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر؛ مثل الزنا، والسرقة وما أشبهها، مستحلا لها غير معتقد لتحريمها؛ كان كافرا. اهـ. (1)

ويقول الإمام الإيجي :ولا نكفر أحدا من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع والأفضلية القادر العليم أو شرك أو إنكار للنبوة أو ما علم مجيئه ضرورة أو لمجمع عليه كاستحلال المحرمات وأما ما عداه فالقائل به مبتدع غير كافر(2)

ومسك الختام في هذه الجزئية حتي لا أطيل للإمام الأكبر معالي الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر حيث يقول : لا ريب أن من أخطر قضايا أمتنا العربية والإسلامية فى عصرنا الحاضر .. قضية فوضى تكفير المسلمين ، وفوضى الفتوى بحل قتلهم وقتالهم . وهى محنة كبرى تعانى منها بعض مجتمعاتنا عناء شديدا(3)

ثم أشار فضيلته إلى أن مذهب أهل السنة والجماعة المتمثل في الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث هذا " المذهب الذى تقرر قاعدته الذهبية : أنه لا يخرجك من الإيمان إلا جحد ما أدخلك فيه ، مذهب تعضده آيات القران الكريم ، وتشهد له بانفكاك حقيقة الإيمان عن حقيقة العمل ، فقد عطف القرآن الكريم العمل على الإيمان عطف مغايرة في قوله

---

(1) ينظر الإبانة عن أصول الديانة المؤلف: أبو الحسن الأشعري تحقيق: د. فوقية حسين محمود نشر: دار الأنصار – القاهرة الطبعة: الأولى، 1397هـ صـ 26

(2) كتاب المواقف : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الناشر : دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ، 1997 تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة: 3 / 717.

(3) راجع تصحيح المفاهيم من أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والارهاب المقام في ديسمبر 2014 مقال تحت عنوان خطورة التكفير للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر: سلسلة مجمع البحوث الإسلامية السنة السادسة والأربعون ـ الكتاب الأول 1436 هـ 2015 م صـ 99 وما بعدها .

تعالى { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا } (1) ، ومعلوم أن القتل من أكبر الكبائر ، ومع ذلك سمى الله القاتلين من الجانبين مؤمنين . (2)

هذا المذهب الأشعري ، هو مذهب الجمهور ، وهو الذى يعبر عن رجاء الناس ورجاء العصاة والمؤمنين فى عفو الله ومغفرته ورحمته ، وهو الذى يعكس يسر هذا الدين وحنوه على أتباعه ورأفته بهم .

وهو أيضا أسهم بقوة فى حقن دماء المسلمين وصيانة أموالهم وأعراضهم ، التى حرمها النبى صلى الله عليه وسلم فى قواطع صريحة بقوله : " كل المسلم على المسلم حرام : دمه ،وماله ، وعرضه "(3) . وقوله صلى الله عليه وسلم للناس فى حجة الوداع: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا "(4)، وهو نفسه المذهب ذو النظرة المتوازنة للإنسان الخطاء بطبعه ، كما نبه إليه النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "(5)

ثم قال أمامنا : وتعلمون أيها العلماء الأفاضل من النظر في مذهب الأشاعرة أن قضية التكفير لا يملكها أحد ، ولا هيئة ولا جماعة ولا تنظيم ، وإنما هي تسمية شرعية بحتة.(6)

ثم أشار فضيلته إلى دور الأزهر الشريف فقال: إن الأزهر الشريف الذى يرفع راية " جمع الكلمة " بين المسلمين ، والذى لا يفرق بين مذهب ومذهب فى مقاومة موجات

---

(1) سورة الحجرات :9

(2) راجع تصحيح المفاهيم من أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والارهاب المقام في ديسمبر 2014 مقال تحت عنوان خطورة التكفير للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر صـ 106

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2564) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

(4) حديث متفق عليه أخرجه البخارى (67) ومسلم (1679) فى عدة مواضع من صحيحيهما من حديث أبى بكرة رضى الله عنه وغيره

(5) أخرجه الترمذى في جامعه (2499) وابن ماجه فى سننه (4251) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وقال الترمذى : " حديث غريب ".

(6) راجع تصحيح المفاهيم من أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والارهاب المقام في ديسمبر 2014 مقال تحت عنوان خطورة التكفير للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب شيخ الأزهر صـ 108

الإلحاد والتغريب والإفساد الأخلاقي ـ لا يدخر جهدا في مقاومة الانحراف التكفيري الطارئ، والمرفوض من جماهير الأمة الإسلامية قديما وحديثا .(1)

(1) نفس المرجع صـ 109.

المبحث الرابع

وسطية أهل السنة فى الوعد والوعيد

أولا : الوعد والوعيد في اللغة والاصطلاح:

تعريف الوعد في اللغة: يستعمل الوعد في الخير والشر، ويتعدى بنفسه، وبالباء، فيقال: وعده الخير وبالخير، وشرًّا بالشر، وقالوا في الخير: وعده وعدًا وعدة، وفي الشر وعده وعيدًا فالمصدر فارق وأوعده إيعادًا وقالوا أوعده خيرًا أو شرًّا بالألف أيضًا (1)

جاء في لسان العرب: قال ابن سيده وفي الخير الوَعْدُ والعِدةُ، وفي الشر الإِيعادُ والوَعِيدُ. (2)

وقال الأَزهري: كلام العرب وعدْتُ الرجلَ خَيراً ووعدته شرّاً وأَوْعَدْتُه خيراً وأَوعَدْتُه شرّاً.(3)

تعريف الوعد في الاصطلاح: عرف الوعد في الاصطلاح بأنه ما يطلبه الطالب فيعده صاحبه بإنفاذ ما يطلبه منه (4)

قال السنهوري هو: ما يفرضه الشخص على نفسه لغيره بالإضافة إلى المستقبل لا على سبيل الالتزام في الحال) (5)، وقد يقع الوعد على عقد أو عمل كأن يعد شخص آخر ببيعه أرضًا أو ببنائه دارًا (6)

وبالنسبة للذات الإلهية فالمراد به: النصوص المتضمنة وعد الله لأهل طاعته بالثواب والجزاء الحسن والنعيم المقيم.

---

(1) الفيومي، المصباح المنير "وعد"، وانظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط "وعد"،
(2) لسان العرب 3 /463
(3) تهذيب اللغة :3 /86
(4) الموسوعة الفقهية: 91/7
(5) مصادر الحق: 45/1
(6) نفس المصدر : 45/1

وهو أيضا: كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل(1).

أما الوعيد في اللغة : فلا يكون إلا بالشر(2) والمراد به: النصوص التي فيها توعد للعصاة بالعذاب والنكال.

ويعرفه علماء الكلام إصطلاحا بأنه: كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين ألا يكون كذلك.(3).

الفرق بين الوعد والوعيد

الفرق بين الوعد والوعيد كما أوضحنا أنَّ الوعيد في الشر، بينما الوعد يصلح بالتقييد للخير والشر، غير أنَّه إذا أطلِق اختص بالخير، وكذلك إذا أُبهم التقييد كقولك: وعدته بأشياء". إنجاز الوعد بالخير دليل الصدق وطلاقة القدرة يستخدم القرآن الكريم لفظ (الوعد) وما يُشتق منه عندما يكون السياق في حق الله جل جلاله للدلالة على تحقق رجاء الراجي له، كما ورد في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)(4) وهذه الآية جاءت بعد الحديث عن الوعد الكاذب للشيطان قومَه بالتأييد: (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا).(5) ويراد بهذه المقارنة التفريق بين الوعد الإلهي الصادر من أصدق الموجودات وعداً وهو الله -سبحانه وتعالى-، وبين الوعد المكذوب للشيطان؛ فالله -جل جلاله- لا وعد أصدق من وعده الحق؛ لأنَّه هو الوحيد في هذا الكون القادر على أن ينجز كل ما يعد به، لكن الشيطان عاجز عن الوفاء، يُدلِّي أولياءه بغرور؛ فوعده باطل وقوله كذب وزور.

---

(1) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة 134

(2) ابن فارس: مجمل اللغة 4/ 931.

(3) انظر: شرح الأصول الخمسة 135

(4) سورة النساء : 132

(5) سورة النساء : 130

ثانيا : موقف علماء الكلام من الوعد والوعيد

1 – موقف الخوارج والمعتزلة .

أنَّ الخَوارِجَ يقولون كما ورد عنهم بأنَّ العُصاةَ من أهلِ الكبائِرِ إذا ماتوا على كبائِرِهم دونَ توبةٍ، وأنَّهم في هذه الحالِ ليس لهم إلَّا مصيرٌ واحِدٌ، وهو النَّارُ، مخلَّدِينَ فيها، وقولُهم هذا وقولُ المُعتَزِلةِ في هذا الموضوعِ قولٌ واحِدٌ، وهو تخليدُهم في النَّارِ، إلَّا أنَّ الخَوارِجَ يَرَون أنَّ عذابَهم كعذابِ الكُفَّارِ، والمُعتَزِلةُ تخالِفُهم في هذا وترى أنَّ عذابَهم ليس كعذابِ الكُفَّار، بل هم أقلُّ منهم في الدَّرَجةِ حتَّى مع خلودِهم في النَّارِ.(1)

فالخَوارِجُ كما هو المشهورُ عنهم من أشَدِّ الفِرَقِ الإسلاميَّةِ مُبالَغةً في مسألةِ ارتكابِ الذُّنوبِ وإخراجِ أهلِها من الإيمانِ؛ إذ إنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، فإذا خالف عمَلُه الحقَّ بارتكابِ بعضِ الذُّنوبِ، فلا بقاءَ لإيمانِه، وهو من أصحابِ النَّارِ، وقد وصف اللهُ نفسَه بأنَّه عَدلٌ يجازي كُلَّ واحدٍ بما عَمِل، وهو علَّامُ الغيوبِ، فلا يمكِنُ أن يكونَ المُؤمِنُ والكافِرُ والطَّائعُ والعاصي والبَرُّ والفاجِرُ في ميزانِه تعالى واحِدًا؛ فهذا خلافُ العدلِ، الذي تنَزَّه اللهُ عنه، وإلَّا كان الأمرُ بالإيمانِ والطَّاعةِ والنَّهيُ عن الكُفرِ والمعاصي لا معنى له.

ثمَّ قالوا: إنَّ اللهَ صادِقٌ، وقد قال في كتابِه الكريمِ:(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (2)، وقال تعالى: (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (3) ، فلا يُتصَوَّرُ أن يخلِفَ اللهُ وَعدَه أو وعيدَه، وإلَّا جاز عليه القولُ بأنَّه يقولُ شيئًا ثُمَّ يبدو له أنَّ المصلحةَ في خلافِه، فيترُكُ الأوَّلَ، وهذا مستحيلٌ على اللهِ، وهو من صفاتِ النَّاسِ لنَقصِ عُقولِهم وتجَدُّدِ الأمورِ لديهم.(4)

---

(1) ينظر مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري 1/ 204

(2) سورة آل عمران: 9

(3) سورة ق: 28-29

(4) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف: 1/ 204

كذلك فإنَّ المعروفَ بداهةً أنَّ من استحَقَّ العذابَ لا يستَحِقُّ الثَّوابَ، ومن استحَقَّ الإحسانَ لا يستَحِقُّ الإساءةَ، وإلَّا لزم الجمعُ بَينَ النَّقيضينِ، وعلى هذا فإنَّ النَّاسَ في الدَّارِ الآخرةِ ينقَسِمون إلى قِسمَينِ: شقيٌّ وسعيدٌ؛ فمن استحقَّ الشَّقاءَ لا يستَحِقُّ السَّعادةَ، ومن استحَقَّ السَّعادةَ لا يستَحِقُّ الشَّقاءَ؛ قال تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (1)

والمُعتَزِلةِ في الوعيدِ قالوا : إنَّ الفاسِقَ إذا مات على غَيرِ توبةٍ عن كبيرةٍ ارتكَبها، يستحِقُّ النَّارَ مُخلَّدًا فيها؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى توعَّده بذلك، ولا بُدَّ أن يُنفِّذَ وعيدَه، لكنَّ عذابَه يكونُ أخَفَّ مِن عذابِ الكافِرِ .

أيضا يرى المعتزلة أن الله تعالى لو لم يعاقب الفاسق لزم الخلف في وعيده

يقول الإمام الإيجيُّ: إنَّ المُعتَزِلةَ قالوا: إنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أوعَد بالعِقابِ وأخبَر به، فلو لم يُعاقِبْ لزِم الخُلفُ في وعيدِه والكذِبُ في خَبرِه، وهو مُحالٌ . (2)

ويؤكد ذلك القاضي عبدُ الجبَّارِ فيقول: أنَّ اللهَ تعالى وعَد المُطيعينَ بالثَّوابِ، وتوعَّد العُصاةَ بالعِقابِ، وأنَّه يفعَلُ ما وعَد به وتوعَّد عليه لا محالةَ، ولا يجوزُ عليه الخُلفُ والكذِبُ) (3) .

ويقول أيضا : العاصي لا يخلو حالُه مِن أحدِ أمرَينِ؛ إمَّا أن يُعفى عنه، أو لا يُعفى عنه؛ فإن لم يُعفَ عنه فقد بقِي في النَّارِ خالِدًا، وهو الذي نقولُه، وإن عُفِي عنه فلا يخلو؛ إمَّا أن يدخُلَ الجنَّةَ أو لا؛ فإن لم يدخُلِ الجنَّةَ لم يصِحَّ؛ لأنَّه لا دارَ بَينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فإذا لم يكنْ في النَّارِ وجَب أن يكونَ في الجنَّةِ لا محالةَ، وإذا دخَل الجنَّةَ فلا يخلو؛ إمَّا أن يدخُلَها

---

(1) سورة هود: 106 – 108

(2) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها: دعماد السيد الشربينى الطبعة: الأولى / 1422 هـ - 2002 م ص 96

(3) شرح الأصول الخمسة: القاضي، عبد الجبار بن أحمد الهمداني المحقق: ابي هاشم، احمد بن حسين الناشر: دار احياء التراث العربي، محل نشر: بيروت 1/ 204

مُثابًا أو مُتفضَّلًا عليه، ولا يجوزُ أن يدخُلَ الجنَّةَ مُتفضَّلًا عليه؛ لأنَّ الأمَّةَ اتَّفقت على أنَّ المُكلَّفَ إذا دخَل الجنَّةَ فلا بُدَّ مِن أن يكونَ حالُه مُتميِّزًا من حالِ الولدانِ المُخلَّدينَ، وعن حالِ الأطفالِ والمجانينِ، ولا يجوزُ أن يدخُلَ الجنَّةَ مُثابًا؛ لأنَّه غَيرُ مُستحِقٍّ، وإثابةُ مَن لا يستحِقُّ الثَّوابَ قبيحٌ، واللهُ تعالى لا يفعَلُ القبيحَ...؛ لذا يجِبُ أن يكونَ مُعاقَبًا على ما نقولُه.(1)

يقول الإمام الأشعري : واجمع اصحاب الوعيد من المعتزلة أن من أدخله الله النار خلده فيها واختلفت المعتزلة هل يقال للفاسق مؤمن أم لا على ثلاث مقالات ، فزعم بعضهم انه يقال له آمن ولا يقال له مؤمن وهذا قول عباد وقال قائلون لايقال آمن ولا يقال مؤمن وقال الجبائى يقال آمن من اوصاف اللغة ويقال مؤمن من اسماء اللغة . (2)

هذا هو مذهب المعتزلة، يوجبون على ربهم أن ينفذ وعده وأن يعطي العبد أجر ما كلفه به من طاعات استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التي اختارها الله وكلف بها عباده.

وهكذا اتفقت الطائفتان _ الخوارج والمعتزلة _ على أن صاحب الكبيرة في الآخرة مخلد في النار، وأما في الدنيا فهم مختلفون، فالخوارج يقولون: خرج من الإيمان ودخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، بل يكون في منزلة بين المنزلتين.

والخوارج يقولون: نسميه كافراً، والمعتزلة يقولون: نسميه فاسقاً فهو لا مؤمن ولا كافر، فهذا هو مذهب الوعيدية.

---

(1) شرح الأصول الخمسة: القاضي، عبد الجبار بن أحمد الهمداني المحقق: ابي هاشم، احمد بن حسين الناشر: دار احياء التراث العربي، محل نشر: بيروت 1/ 204

(2) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : للإمام الأشعري تحقيق هلموت ريتر الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت. 274/1

2 – موقف المرجئة من الوعد والوعيد:

يوشك إجماع المؤرخين والمهتمين بعلم الكلام أن ينعقد على أن ظهور المرجئة كفرقة لها قسماتها الفكرية المميزة وآراؤها العقدية المغايرة للمألوف آنذاك ـ قد ارتبط ارتباطًا مباشرًا بمغالاة الخوارج في تكفير مخالفيهم، والنظر إلى مرتكب الكبيرة على أنه كافر، تخرجه ذنوبه من دائرة الإيمان والإسلام جميعًا، واعتبار العمل جزءًا من إيمان صاحبه، وأن الفصل بينهما فصل بين مرتبطين ضرورة.

وعلى العكس من معتقد الخوارج، ذهبت المرجئة إلى أن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ووليٌّ لله عز وجل، من أهل الجنة.

ولما كان الإيمان عند المرجئة غير مرتبط بعمل الجوارح قال مقاتل بن سليمان ـوكان من كبار المرجئةـ: لا يضر مع الإيمان سيئة جلت أو قلت أصلًا، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً.

وذهب عبد القاهر البغدادي إلى أن سبب تسميتهم بالمرجئة من الإرجاء بمعنى التأخير؛ لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، بيد أن الراجح لدينا فيما يتصل بأمر التسمية، أنهم سموا بذلك؛ لأنهم يرجئون الحكم على صاحب الكبيرة إلى يوم الدِّين، ويفوضون أمره إلى ربه.

فالمرجئة تسالم الجميع، ولا تكفر طائفة منهم، وتقول: فلنترك أمرهم جميعًا إلى الله، الذي يعرف سرائر الناس ويحاسبهم عليها ".(1)

ثالثا : وسطية أهل السنة فى الوعد والوعيد

لاحظنا من خلال عرضنا السابق أن المرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، وقالوا: كل ذنبٍ سوى الشرك فهو مغفور؛ فالإيمان لا تضرُّ معه معصية، كما لا

---

(1) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت 333هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م جزء 1 ص 119

ينفع مع الكفر طاعة، وإنما ضلُّوا في هذا الباب بسبب عبادتهم اللهَ تعالى بالرجاء وحده، وإهمال جانب الخوف.

والوعيدية (من الخوارج والمعتزلة) أخذوا بنصوص الوعد والوعيد، وغلَوْا في نصوص الوعيد، وقالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يُخلِفَ أيًّا منهما، وسبب ضلالهم في هذا الباب: عبادتهم اللهَ بالخوف وحده، وإهمال جانب الرجاء.

وأهل السنَّة في هذا الباب وسط بين غلاة المرجئة وبين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، وهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد؛ فيجمَعون بين الخوف والرجاء، ولا يفرِّطون في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، ولا يغلون غلوَّ الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد.

ويقولون في الوعيد: يجوز أن يعفوَ الله عن المذنب، وأن يُخرِجَ أهل الكبائر من النار، فلا يخلِّد فيها أحدًا من أهل التوحيد، ويقولون في الوعد: إن الله لا يخلف وعده، فإذا وعد عباده بشيء، كان وقوعه واجبًا بحُكم وعده؛ فإنه الصادقُ في خبره، الذي لا يخلف الميعاد.

إن مذهب أهل السنة والجماعة وسط فقالو لن ننفي عن صاحب الكبيرة مطلق الإيمان، لكن سننفي عنهم كمال الإيمان، فيخرجون من دائرة الإيمان، ولكنهم باقون في دائرة الإسلام، فالفاسق مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

هذا في الدنيا وأما في الآخرة فحكمه إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه ولا يخلد في النار مثل سائر الكفار إن دخلها، وهذا هو الذي تجتمع عليه النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. (1)

---

(1) التوحيد للماتريدي: صـ ٣٢٩، واللمع: 130: 137، والتمهيد: صـ 395: 399، وأصول الدين للبغدادي: صـ 242، وبحر الكلام: صـ160، وأصول الدين للبزدوي: صـ135، وشرح المواقف "364/8: 370، وشرح المقاصد: 130/5: 140، والبداية من الكفاية: صـ140 وما بعدها، واللقاني/ إبراهيم بن عبد السلام: إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، تعليق: الشيخ محمد يوسف الشيخ، 1379هـ، صـ173.

فأهل السنة والجماعة أصْلُهُمْ أنهم يُكَفِّرُونَ من كَفَّرَهُ الله - عز وجل - وكَفَّرَهُ رسوله صلى الله عليه وسلم من الطوائف أو من الأفراد.

أما غير أهل السنة فقد حكم عليه بعضهم كالخوارج بأنه كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار أو هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا هو مؤمن ولا هو كافر ولكنه في الآخرة مخلد في النار، وهذا حكم المعتزلة ، وقابلت الجميع المرجئة فحكموا بإيمانه إيماناً كاملاً في الدنيا وهو في الآخرة مع النبيين الصديقين والشهداء.

وحجة الجميع تتفق في أنهم يرون أن الإيمان كشيء واحد لا يتبعض فلا يزيد ولا ينقص فإما أن يكون الشخص عاصياً -والعاصي ليس بمؤمن- وإما أن يكون طائعاً -وهو المؤمن- وحكم الكافر والمؤمن معروفان في الإسلام. [1] وبالتأمل في موقف أهل السنة من أصحاب الذنوب وموقف من سواهم ممن ذكرنا تتضح بجلاء وسطية أهل السنة وصدق قول الله تعالى فيهم: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...) (2)

(1) راجع فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها المؤلف: د. غالب بن علي عواجي الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، 1422 هـ - 2001 م 1 / 185.

(2) سورة البقرة:143

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج

1 - تبين للباحث أن الوسطية من أهم الخصائص التي اختصت بها الأمة الإسلامية وهي الميزة التي تميز بها هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكا.

2 - إن الوسطية ليست من المصطلحات الحديثة بل هو مصطلح أصيل وارد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

3 - الدلالة الاصطلاحية لمفهوم الوسطية أنها تعني التوازن والاعتدال بين طرفي الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط، والإسراف والتقتير.. فكل أمر له طرفان مذمومان، إما إلى إفراط، وإما إلى تفريط، والوسط هو التوازن بينهما

4 - العقائد الإسلامية وسط بين الأفكار والعقائد التي ظهرت في هذه المعمورة عبر الأمكنة والأزمان. فهي عقيدة تدعو إلى الاقتصاد والاعتدال في جلها.

5 - أوضح البحث أن العاصي عند أهل السنة في الدنيا لا يخرج عن اسم الإسلام ويقال له مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه .

فهرس لأهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. **الأربعين في أصول الدين، تأليف: الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط 1، 1406ه.**
2. **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف: الإمام أبي المعالي الجويني، تحقيق: د/ محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، 1950م.**
3. **الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م.**
4. **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ، تأليف: الشيخ يحي بن أبي الخير العمراني، تحقيق: د/ سعود الخلف، أضواء السلف، ط1، 1999م.**
5. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: القاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 2، 2000م.**
6. **تبصرة الأدلة، تأليف: أبو المعين النسفي، تحقيق: د/ محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 1، 2011م.**
7. **تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تأليف: برهان الدين إبراهيم الباجوري، تحقيق: أ. د/ علي جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، 2014م.**
8. **التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط 1، 1983م.**
9. **تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامى بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.**
10. **التمهيد لقواعد التوحيد، تأليف: أبو المعين النسفي، دراسة وتحقيق: د/ حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية- القاهرة، ط 1، 1986م.**
11. **رسالة إلى أهل الثغر، تأليف: الإمام أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبدالله شكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط2، 2002م.**

12. سنن الإمام أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر- بيروت، بدون تاريخ.
13. سنن الإمام الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي-بيروت، بدون تاريخ.
14. شرح الاصول الخمسة، تأليف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، حققه وقدم له: د/ عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة- القاهرة، ط 2، 1996م.
15. شرح المقاصد، تأليف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت لبنان، ط2، 1998م.
16. شرح المواقف، تأليف: السيد الشريف على بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1998م.
17. صحيح الإمام البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
18. صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
19. الفرق بين الفرق، تأليف: الإمام أبي منصور عبدالقاهر البغدادي، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا- القاهرة، بدون تاريخ.
20. لسان العرب، تأليف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر– بيروت، ط 3، 1414هـ.
21. اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، تأليف: جمال الدين مقداد عبدالله الأسدي السيوري، تحقيق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، تبريز- إيران، ط1، 1394هـ.
22. مختار الصحاح ، تأليف: محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط 5، 1999م.
23. مسند الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001 م.

24. معجم المؤلفين، المؤلف: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، 1957 م.
25. مفاتيح الغيب، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 2000م .
26. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط 1، 1990م.